المحاضرة الحادية عشر
الصحافة الجزائرية خلال فترة الاستعمار الفرنسي

تقول الكتابات التاريخية أن نشأة الصحافة في الجزائر كان بمبادرة فرنسية، ولأن الجزائر لم تعرف قبل الاحتلال الفرنسي هذه الظاهرة الإعلامية والثقافية رغم مرور حوالي قرنين على ظهورها في أوروبا، وتذكر هذه الكتابات أيضا أن أول محاولة على الأرض الجزائرية كانت يوم *26* جوان *1830* عندما سحبت من أعداد من صحيفة تدعى (**بريد الجزائر** ***L'estafette D'Alger***) بالمعسكر الذي أقامه الجيش الفرنسي في سيدي فرج. وقد تم سحبها في المطبعة العسكرية المحمولة في إحدى السفن، وكانت تسمى المطبعة الافريقية. وقد صدر من "**الاسطافيت**" عدة أعداد كانت ترسل إلى فرنسا وتطبع من جديد وتوزع هناك حاملة أخبار نجاح الحملة وسقوط حكومة الداي ودخول الجيش الفرنسي إلى القصبة وغير ذلك. ثم في عقد "الدوق دو رفيقو" (***Duc de Rovigo***) أنشأ جيش الاحتلال جريدة (**الممرن الجزائري** ***Moniteur Algérien***) في شهر جانفي *1832*، وكانت هي الجريدة الرسمية للفرنسيين في الجزائر، وباعتبارها كذلك كانت تطبع في المطبعة الأفريقية ـ الحكومية ـ وتحتوي على الاعلانات والقرارات وبعض الأخبار الخاصة بحركة النقل بين الجزائر وفرنسا، وتوافد المستوطنين (الكولون) الفرنسيين على الجزائر. وفي *1834* أنشأ (المونيتور) قسمًا باللغة العربية المكتوبة بأسلوب ركيك لا يكاد يقرأ، ورغم ذلك فإن (المونيتور) تعتبر أول صحيفة نشرت بالعربية في الجزائر قبل ظهور جريدة (**المبشر**) سنة *1847*.

تمثل جريدة (**المبشر**) التي صدرت في *15* سبتمبر *1847* على يد الإدارة الاستعمارية الفرنسية أول جريدة ظهرت باللغة العربية في الجزائر وثالث جريدة في العالم العربي بعد كل من جريدة (الحوادث اليومية) التي أنشأها الفرنسيون سنة *1799* وقيل سنة *1801* في مصر بعد حملتهم عليها، وجريدة (الوقائع المصرية) التي أمر بإنشائها "محمد علي الكبير" بتاريخ *03* ديسمبر سنة *1828*. وحقيقة أمر صحيفة (**المبشر**) أنها لا تعد في عداد الصحف العربية كونها كانت تمثل الاحتلال الفرنسي، الذي أصدرها بعد رسوخ أقدامه في بلادنا، ولأنها كانت لا تنشر إلا ما يهم هذا الاحتلال عسكريا وإداريا، كما أن لغتها العربية كانت ضعيفة وهي مزدوجة اللغة، واستمرت في الصدور إلى سنة *1927*.

ولم يتوقف انشأ الفرنسيين للصحف المزدوجة باللغتين الفرنسية والعربية أو بالعربية، ولكنها كما يبدو لم تعمر طويلا وهي: (**النصيح**) (*1899 - 1900*) التي كانت تصدر باللغة العربية لصاحبها الفرنسي المستعرب "أدوار قوسلان" (***D. Gosselin***)، وجريدة (**الجزائري**) *1900* التي أنشأها مدير الشؤون الأهلية "لوسياني" (***Luciani***)، و(**المغرب**) *1903* صاحب امتيازها "بيار فونطانا" (***P. Fouatana***)، و(**الأخبار**) التي أصدرتها الولاية العامة الفرنسية في الجزائر منذ *1839* باللغة الفرنسية

أصبحت منذ بداية *1903* وتحت اشراف "فيكتور باروكان" (***V. Barrucand***) و"ايزابيل ابرهارت (***I. Eberhardt***) أصبحت لها صفحتين بالغة العربية، و(**الاحياء**) سنة *1907* لمستشرقة الفرنسية "جان ديتايو (***J. Destayaux***) أو "جمانة رياض" أو "فاطمة الزهراء" كما كانت توقع في كتاباتها.

أما بخصوص الجرائد التي أنشأها الجزائريون فيمكن تقسيم مراحلها إلى ثلاث مراحل بقطع النظر عن اللغة التي كتبت بها؛ المرحلة الأولى قبل الحرب العالمية الأولى (بالتقريب من *1890* إلى *1914*)، والمرحلة الثانية من *1919* إلى *1939*، والمرحلة الثالثة من *1940* إلى *1956*.

<u>المرحلة الأولى (من *1890* إلى *1914*):</u>

في هذه المرحلة ظهرت فيها الصحف التالية:

- **الحق:** هي جريدة أسبوعية ظهرت في عنابة في *10* جويلية *1893* على يد "سليمان بن بنقي" و"عمر السمار" و"خليل قايد العيون"، صدرت في أول الأمر باللغة الفرنسية، ثم ظهرت بعدد السابع عشر مزدوجة باللغتين العربية والفرنسية، وكانت حاملة هذا التعريف: ((جريدة فرانسوية، عربية، سياسية، أدبية، في شؤون العرب الجزائريين))، ومن خلال تعريفها هذا المعلن أن هدفها هو الدفاع عن مصالح العرب الجزائريين ومصالح الفرنسيين الذين استجابوا "للمشاعر الوطنية" دون غيرهم. استمرت (الحق) حوالي سنة لا يعرف هل توقفت بنفسها أو أوقفتها الإدارة الفرنسية.

- **المصباح:** ظهرت في شهر جوان *1904* بمدينة وهران، وصاحبها هو "العربي فخار" أحد المعلمين المثقفين باللغة الفرنسية، وكانت تصدر مرة في كل أسبوع محررة باللفتين العربية والفرنسية، وكانت تهدف إلى تحيق شعارها هو: ((من أجل فرنسا بالعرب، ومن أجل العرب بفرنسا)) على أنها كانت تهتم بقضايا الأهالي تهتم بقضايا الأهالي الجزائريين مطالبة بحقوقهم، ولكن بأسلوب فيه غير قليل من التملق والضعف والتردد. لم تستمر (المصباح) طويلا في الصدور بسبب عدم رواجها حيث لم يتجاوز عدد المشتركين فيها *1700* مشتركا، مما لم يشجعها فتوقفت عن الظهور في *10* فيفري *1905*.

- **كوكب إفريقيا:** بوحي من الإدارة الفرنسية أيضا صدرت كوكب إفريقيا برئاسة تحرير الشيخ "محمد كحول" وأحد الفرنسيين اسمه "لويس بودي"، وكان مدير الجريدة هو "بيير فونتانة" وكانت (الكوكب) تصدر في العاصمة، ويبدو أن إدارة الشؤون الأهلية هي التي كانت تمونها، غير أن اشراف "كحول" الذي هو أحد الأساتذة المتمكنين في اللغة العربية وأحد تلاميذ الشيخ "المجاوي" ندما كان في قسنطينة ضمن لها تحريرًا جيدًا ومستوى رفيعًا بالقياس إلى ما عرفته الصحابة العربية الأخرى من انحطاط في الأسلوب والفن الصحفي. وكونها كانت موجهة إلى الجزائريين فإن هذه الجريدة كانت تصدر كل يوم جمعة، وكانت تعلن عن نفسها أنها ((صحيفة أسبوعية سياسية، أدبية، علمية، فلاحية، تجارية، صناعية))، وقد صدرت في *17* ماي *1907* في أربع صفحات، واستمر صدورها إلى غاية *1914*.

- **الجزائر:** كانت أول جريدة شعبية ظهرت في العاصمة كما يقول "أحمد توفيق المدني" أصدرها الكاتب الكبير والفنان المبدع "عمر راسم" يوم *27* أكتوبر *1908*، ولكنها لم تعمر طويلا حيث صدر منها ثلاثة أعداد، وعطلها الاستعمار وزج بصاحبها في السجن، الذي عرف عنه لهجته

الوطنية الحادة، فكان من أهداف الجريدة كما جاء في عددها الأول توعية الشهب الجزائري، وتثقيفه واطلاعه على أسرار السياسة الداخلية والخارجية.

الإسلام: ظهرت أولاً في عنابة سنة *1909*، وكانت جريدة أسبوعية أنشأها "عبد العزيز طبيبال" قيل أنه كان متجنسًا وقليل التعلم وفي خدم الإدارة الفرنسية، وكانت تصدر بالفرنسية، ثم تحولت (الإسلام) إلى العاصمة من قبل مؤسسها الحقيقي "الصادق دندان" وهو رجل كاتبًا في إحدى البلديات المختلطة، وكانت الجريدة متأثرة بالصحافة الباريسية، وشارك في تحريرها بعض الكتاب الفرنسيين أيضا، واستمرت بدون انقطاع إلى عشية الحرب العالمية الأولى. وبداية من *26* جويلية *1912* أصدر نسخة باللغة العربية غير أنها كانت معربة عن الأصل الصادر بالفرنسية حرفيا، وكان الذي يقوم بتعريبها هو "عز الدين القلال" التونسي الأصل، أما أهداف الجريدة فكانت الدفاع المطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين، واطلاعهم على ما تنشره الصحافة الفرنسية عما يتعلق بقضاياهم السياسية والاقتصادية.

- الفاروق: أصدرها "عمر بن قدور الجزائري" في العاصمة بتاريخ *18* فيفري *1913*، وتعد أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد المعتبرة وكانت اسلامية وطنية محضة، طالما اهتمت بقضايا المسلمين وحللت واقعهم المرير. كانت جريدة أسبوعية استمرت ثلاث سنوات ثم أوقفتها الإدارة الاستعمارية، ونفوا صاحبها إلى الأغواط مشيًا على قدميه.

- ذو الفقار: أصدرها "عمر راسم" سنة *1913*، وكان يوقع أسمه باسم "أبو منصور الصنهاجي"، لم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد بين أوت *1913* وجوان *1914*، وكان "عمر راسم" يقظ الذهن مطلعًا على أحوال العالم، وأدرك هو وزميله "عمر بن قدور" منذئذ ما يحاك لفلسطين والقدس والمخططات الصهيونية في الوطن العربي. وقد نبها إلى ذلك مبكرًا لأن المؤشرات قد ظهرت بعد سقوط السلطان "عبد الحميد الثاني"، وكان "مر راسم" هو الذي يحرر ويخطط جريدته ويطبعها على الحجر.

- البريد الجزائري: بعد توقف جريدة (الإسلام) المعربة عن الصدور، قام "محمد عز الدين القلال" بإصدار جريدة خاصة به، سماها (البريد الجزائري) صدر عددها الأول في *28* أوت *1913*، وجعل شعارها الآية الكريمة ((واعتصموا بحمل الله جميعا ولا تفرقوا))، وخطة ((مقاومة انحطاط الأخلاق قبل كل شيء)) وعمد "القلال" تحرير جريدته بعبارة بسيطة ولغة واضحة ((بدون أدنى ترصيع ولا تنسيق وحتى لا يحرم من فهمها القاصدون في فنون اللغة العربية))، غير أن الجريدة التي كانت ضعيفة المحتوى، وسرعان ما توقفت عن الصدور إذ لم يظهر منها سوى أربعة أعداد فقط.